



# في انتظار فرج الله القهار

## وقفه مع بعض الجوانب الإبداعية

د. اسماعيل محمد نصفي  
اكاديمي من العراق

في رواية الدكتور

سعدى المالح ( في انتظار فرج

الله القهار)، لم يتحول الوجود

العراقي المستقيم الى مرآتي ذاتية ولم يتحول الى قصيدة تأبينية يزول تأثيرها بزوال المناسبة، بل حمل الشعب صليباً على ظهره ماضياً في درب الجلجلة موثقاً بأنه سيلقى فرج الله القهار، أياً كان، في نهاية المطاف، في المقابر الجماعية لضحايا مجازر سنميل، أو مجازر حلبجة والأنفال، أو الحروب التي أدمن عليها الحاكم بأمره.

من العمر سبعة آلاف عام . لقد تناول المؤلف ما يمكن ان نطلق عليه اسم العصر العراقي، أو الظاهرة الكونية العراقية، وهو (عصر ظاهرة) امتازا بشكل واضطراب لامثيل لهما بحيث اهتزت فيهما العقائد والثوابت بسفعل العنف والتقييب القسري "مجزرة سنميل لتقييب الأشوري، مجزرة حلبجة لتقييب الكردي، مجزرة مابعد الانتفاضة، لتقييب العراقي المتنفذ".

وهو إذ يتناول العصر العراقي يثير اسئلة لاترى النور في نهاية النفق، اللهم إلا عند مجيء فرج الله القهار، فالمؤلف ( وإن شئت، قل النص) لا يرغب ان يلحق القاري، خطاباً دوغماتياً يحامل الناحية الجمالية ويراعي الميول الخطابية لدعاة الالتزام السطحي. يرفض النص أن يقع في فخ ديواكس ماشينا *Deux ex Machina* إنها سبعة آلاف عام من انتظار فرج الله القهار . ولم ينته الأمل بعد.

كان توماس ستيرنز اليوت من أبرز دعاة النظرية اللاشخصية في التأليف الأدبي *Impersonal Theory* أي ان النص يطرح نفسه للذات التي تتولى تدوينه . فلو لم يظهر كافكا لكتابة "المحاكمة" لجاء مؤلف آخر وألف للجمهور رواية المحاكمة . ولو لم يظهر هيرمان بروخ لتأليف "موت فيرجيل" ، لجاء روائي غيره وألف النص نفسه. وهكذا، اختارت روح الراقدين ان يظهر " فرج الله القهار" في عام ٢٠٠٦. لم يكن من الصلفة ان يجلس ابراهام في فندق العالم الجديد ونجلس معه ونرى شريط الأعوام السبعة آلاف ممتدة من عصر فجر السلاطات ال آخر من تلقب بلقب حامي الحمى والأقوام والألسنة تدور وترطن وكأنها تكرر بلبال برج بابل الذي خيره العراقيون قبل الزمان بأمد طويل . أي نص متفرد هو هذا؟ لأنه ضم بين ذمته زلزال سبعة آلاف عام في مائة واحد واربعين صفحة صدرت في بلاد الفرية، أم لأنه كشف العورة وأماط اللثام وأقامنا شهوداً على أنفسنا؟ إننا أشداء فيما بيننا رحماء على أعدائنا كارهي الراقدين.

أم لأنه كلما افتتح حديثاً مهما تحفز بالوسيقى أو الإنشاد، فهو يتحفز على صوت النافوس او ايقاع صنع الشماس او صلاة جوقة المرتلين او ترانيم الأتقياء او أزيز الرصاص او هدير المدافع او القراءات الحسينية؟ رحماك ياربي، المدد والعون ياإلهي! أم لأنه استطاع سير غور الذات العراقية بشقها العربي، والشيعي، والسرياني، والكردي، والحضري، والمدني، والموسوي، والمسيحي، والمسلم، بل الوثني!! قد لا يكون الجواب أياً من هذا . وقد يكون مجموعاً من كل هذا . أياً كان، فهذا النص يضعنا أمام المرأة، حيث لانريد أن نقف . يقول لرسطو في كتابه "فن الشعر" يفكر الأديب كالحكيم ولكنه يصطنع لغة سهلة، ونحن لسنا أمام حد لثة لغوية، نحن أمام محك فكري وأخلاقي يقوم على ازمة تتقاطع فيها السياسة والعقيدة والعرقية وعلاقة الحب/ الكره . في هذا السياق، وفي لحظة دراماتيكية عالية الشحنة، تأتي الإشارة

اطفال من الجنسين، وعجائز وشيوخ، وجنود، وشجعان، وجبناء، مروا الى السماء عبر سنميل وحلبجة والأنفال والفاو، ينتظرون انفتاح باب الملكوت لهم، فهم أرواح هائمة تريد ان تفهم لماذا، لماذا حصل الذي حصل، تنتظر فرج الله القهار، الفعّال في الحياة الأولى والحياة الأخرى. يقول ابراهام/ أفرام منفعلاً للباهرة جاكى العراقيون اكثر تحضراً منكم! حضار تهم تمتد لسبعة آلاف سنة بينما تاريخكم كله لايزيد عن اربعمائة سنة،

أجابت (جاكي Jackie) بنبرة باردة، " لكننا الآن لسوى دولة في لعالم" (الرواية ص ١٢٤-١٢٥).

لم يكن اختيار اسم ابراهام/ أفرام وليد الصدفة، فلقد اتفقت الديانات الابراهيمية الثلاث على اعتباره أباً الأندباء ومن نسله يتولد أولاد كثيرون بعدد نجوم السماء، وهو الآتي من أور الكلدانيين أي من ارض الراقدين. بهذا العمق التاريخي المنثال انثيالاً والمنساب انسياباً سلساً، وعن طريق كلمة واحدة هي اسم ابراهام/ أفرام، يندخلنا للمؤلف في سلسلة التاريخ الراقدي بصيغته الروائية، لا السردية التاريخية، ليعطي اطاراً زمنياً مكانياً للرواية، مانحاً إياها شهادة ميلاد تثبت في اوراقها الثبوتية أنها تبلغ



وبحار الجغرافيا، وسفر الروائي مبدع النص هنا يمر عبر الزمن ومستوطناته في الذاكرة العسية على النسيان حتى بعد الفراق الأبدى. وهذا التنقل الحر بين جزر الزمن ومحطات الذاكرة الجمعية يستدعي برأينا دراسة معمقة في السرد الروائي وتقنياته مما لا يتسع له المجال في هذه العجالة، لأنه يحتاج إلى دراسة معمقة . وبهذا فإننا نقرر إن المؤلف باستخدامه هذه التقنية السردية المتفردة أثرى النص وأغناه وأكسبه ابعاداً إضافية تعمق من مداه البانورامي فضلاً عن اضافة لمسة ساحرة من حسن التأثير الذي لا يضاهاى والذي لا يمكن ان يتولد عن طرائق السرد الكلاسيكية المعتادة، بل يجيء حصراً من هذا الشكل السردى.

وبهذا فإن رواية ( في انتظار فرج الله القهار) تشكل اضافة من حيث الابتكار في السرد فنّي يغري الكثيرين لاحقاً ان يسيروا في مساره وينسجوا على منواله.